وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

مخبر البحث في الدراسات اللغوية والقرآنية

عنوان الندوة التكوينية لفائدة طلبة الدكتوراه الموسومة بـ: المكون البلاغي في العمل التفسيري –قراءة في أمات التفسير–.

المنعقد بتاريخ: **11**ماي **2023**م بكلية الآدب والحضارة الإسلامية

عنوان المداخلة:

سرُّ جمال الاستعارة في قالب تفسيري بياني

د/ نبيل مسالتي. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة. كلية أصول الدين/قسم الكتاب والسنة.

messalti_nabi@yahoo.com

ID: 0009-0007-1765-0906

سرُّ جمال الاستعارة التصريحية في قالب تفسيري بياني.

The secret of the beauty of the declarative metaphor in a graphic explanatory template.

الملخص: يعدُّ الاقتصار على الشواهد الشعريَّةَ في الدرس البلاغي مما يعيقُ تذوقَ علمِ البلاغةِ بأنواعِهِ الثلاثةِ، المعاني، والبديع، والبيان إذ هو سلطانُ التفسيرِ البلاغيِّ للقرآن الكريمِ، ومنه الاستعارةُ بنوعيها المكنيةُ والتصريحيةُ، وللوقوف عمليًّا على الآليات المنهجية التي وظف بها المفسرون علم البلاغة في توضيح معاني القرآن الكريم، وشرح آياته، أجريتُ أسلوب الاستعارة التصريحية على آياتٍ من القرآنِ الكريمِ في قالبٍ تفسيريٍّ بيانيٍّ، فنتجَ عن ذلك شواهدُ قرآنيةٍ زاخرةٍ تمثيلًا وتدليلًا وتوضيحًا على أنَّ سرَّ جَمالِ الاستعارةِ لا يخرجُ عن التجسيم وهو تشبيهُ أمرٍ معنويٍّ بأمرٍ حسيٍّ، أو التشخيصُ وهو تشبيهُ ما لا يعقلُ بكائنٍ له حواسٌ وجوارحٌ، والتوضيحُ وهو ما عدا ذلك.

Abstract: Restricting to poetic evidence in the rhetorical lesson hinders appreciating the science of rhetoric with its three types, the meanings, the beautiful, and the statement, as it is the authority of the rhetorical interpretation of the Holy Qur'an, including metaphor in both its declarative and declarative forms. The meanings of the Holy Qur'an, and the explanation of its verses, I applied the method of declarative metaphor on verses of the Holy Qur'an in an explanatory and graphic template, as a result of which Quranic evidence replete with representation, evidence, and clarification that the secret of the beauty of metaphor does not depart from embodiment, which is an analogy of a moral matter with a sensory matter, or a diagnosis, which is an analogy What is not understood by a being that has senses and limbs, and clarification, which is otherwise.

1. مِهادٌ معرفيٌّ: قراءة في مصطلحات عنوان البحث.

تكتسب هذه المواضيع قوتها من أمثلتها القرآنية، وتبرزُ أهميتُها البالغة في اكتساب الملكة التفسيرية البلاغية، ويُعدُّ الجانب العمليُّ التطبيقيُّ أفضل طريقة وأسهلها لاكتساب مثل هذه الملكات، وقبل أن نلج المقصود يحسن بنا الوقوف عند المصطلحات التي يُبنى عليها البحث وهي:

أولا: التفسير.

تدور مادة (ف س ر) في **اللّغة العربية** حول: البيان والإيضاح، ومن ذلك قولهم: فسَّرت الحديث: إذا بيَّنته وأوضحته،[1] جاء في لسان العرب: "الفسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"،[2] **وأما اصطلاحا:** فقد حُدَّ بتعريفاتٍ كثيرةٍ متقاربةٍ متقاطعةٍ، رُكِزَ في غالبها على تخصصِ المفسرِ صاحب التعريفِ نفسهِ، ولعلَّ تعريف أبي حيان الذي قال فيه: "**علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتماتٌ لذلك**"، أقرب وأنسب إلى ما نحن بصدده، ويظهر ذلك عند شرحه لتعريفه فبيَّنَ أنَّ معنى "كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءات، وأما "مدلولاتها" فهو علم اللغة والغريب، و القصد بـ "أحكامها الإفرادية والتركيبية" علم التصريف والإعراب وعلم البلاغة من بيانٍ وبديعٍ ومعانٍ، ومقصوده بـ "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" المجاز، و يلحق بهذا "تتمات لذلك" كالنسخ، وأسباب النزول، والمبهمات، ونحوها. [3]

ثانيا: البيان.

يُعد علم البيان أحد علوم البلاغة الثلاثة التي امتطاها علماء التفسير قصد بيان معان القرآن الكريم، فإن كانت البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال تقديما وتأخيرا وحصرا وقصرا وما إلى ذلك من مباحث علم المعاني التي تُعد كالشرط لعلم البيان، فإنَّ علم البيان يزيد على ذلك كونه يهتمُّ بتأديَّة المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة، وفائدته العامة تقوية المعاني.

---

[1] جمهرة اللغة لابن دريد، (2/ 718)

[2] لسان العرب لابن منظور، مادة (فسر) (55/5)

[3] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (121/1)

وقد حُصرت أبواب علم البيان في التشبيه –ومنه الاستعارة–والمجاز والكناية؛ إلا أنَّهما مقصودان بالأصالة؛ خلافا للتشبيه فهو مقصود بالتَّبع لأنَّ دلالته وضعية –فهي لا تتفاوت في الوضوح على ما قرَّره البلاغيون خلافا لأهل المنطق وأهل أصول الفقه–، بخلاف الدلالات العقلية؛ لكن لما كان من المجاز ما يُبنى على التشبيه وهي الاستعارة ذُكر تبعا.

ووجه انحصار علم البيان في الأبواب الثلاثة؛ أنَّ إثبات المعنى إمَّا أن يكون عن طريق الإلحاق وهو التشبيه لا غير، وإما عن طريق الإطلاق؛ أي إطلاق الملزوم وإرادة اللازم؛ فإن كان مع قرينة صارفة عن المعنى الأصلي كان مجازا، وإلا فكناية، وهذا برهان القسمة الثلاثية.

قال الأخضري ناظما لما ذكرنا: [4]

فَنُّ البَيَانِ عِلْمُ مَا بِهِ عُرِف...تَأدِيةُ المَعْنى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفْ

وُضُوحُهَا واحصُرْهُ فِيْ ثَلاثَةِ...تشْبِهٍ اوْ مَجَازٍ اوْ كِـــنايةٍ

ثالثا: الاستعارة.

ينقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وبعيدا على من أنكر المجاز؛ يُمكن أن نحدَّه على طريقة المناطقة بأنَّه استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ فتحصل لنا من تعريفه ثلاثة شروط وهي:

- استعمال اللفظ في غير ما وضع له.
- وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الحقيقي.
- وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي؛ وهذه العلاقة إما أن تكون مبنية على المشابهة أو لا؛ فإن كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي المشابهة وهذا هو الأكثر استعمالا وجمالا، سُمي المجاز حينها استعارة وهي أفضله، وإن كانت غير المشابهة كالجزئية والكلية واعتبار ما كان وما يكون وغيرها من العلاقات التي يذكرها أهل البلاغة، سُمي المجاز حينها مجازا مرسلا.

قال الأخضري مقررا لما ذكرنا من تعريف الاستعارة وبيان شروطها: [5]

حَقِيقَةٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وُضِعْ...لَهُ بِعُرْفِ ذِي الخِطَابِ فَاتَّبِـــعْ

ثُمَّ المجازُ قدْ يَجِيءُ مُفْـــرَدَا...وَقَدْ يَجِي مُرَكَبًا فَالْمُـــــــــبْتَدَا

---

[4] الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، عبد الرحمان الأخضري، ص87.

[5] الجوهر المكنون للأخضري: ص93.

كَلِمَةٌ عَابَرَتْ المَوضُوعَ معَ...قَرينَةٍ لِعُلْقَةٍ: نِلْتَ الـــــــــوَرَعْ

كـ: اخلعْ نعالَ الكونِ كَيْ تراهُ...وغُضَّ طَرْفَ القَلْبِ عن سِوَاهْ

كِلَّاهُمَا شَرْعِيٌّ اوْ عُرْفِيٌّ...نحو: ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الـــــــــصُّوفِيُّ

أوْ لُغَوِيٌّ وَالْمَجازُ مُرْسَلٌ...أوِ اسْتِعَارَةٌ فَأَمَـــــــــــا الأَوَّلُ

فَمَا سِوى تَشابهٍ عِلاَقَتُهُ...جُزْءٌ وكلٌّ اوْ مَحَـــــــــــلٌّ آلَتُهُ

ظَرْفٌ وَمظروفٌ مُسَبَبٌ سَبَبْ...وَصْفٌ لِمَاضٍ أوْ مَآلٍ مُرْتَقبْ

والاسْتِعَارةُ مَجَازٌ عُلْقتُهْ...تَشابُهٌ كـ: أَسَدٍ شَجَـــــــــــاعَتُهُ

وشرحا لكلام الناظم تُعَرِّف الاستعارة بأنها: **استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي**، واختصارا يُقال: الاستعارة مجاز علاقته المشابهة، كقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ آل عمران:103 حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل، بجامع النجاة في كلٍّ منهما، فاستعمل الحبل في غير معناه الحقيقي، والعلاقة المشابهة بينهما، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي ما قبل ذلك في قوله تعالى ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ آل عمران:101

فيُقال في إجرائها أنه شبه القرآن بالحبل بجامع النجاة في كلٍّ منهما، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (الحبل)، للمشبه وهو (القرآن) على سبيل الاستعارة، وبناء على هذا فأصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته.

أنواع الاستعارة: تقسم الاستعارة بعدة اعتبارات، وهي باعتبار ما يُذكر من طرفي التشبيه على نوعين:

النوع الأول: الاستعارة التصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، كقوله تعالى ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ**﴾ إبراهيم:1، فقد شبه الشرك بالظلمات بجامع الضياع في كلٍّ منهما؛ ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي ما سبق ذلك في قوله تعالى ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾.

النوع الثاني: الاستعارة المكنية: هي ما لم يصرح فيها بلفظ المشبه به؛ بل حُذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، كما في قوله تعالى ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ الإسراء:24، فقد استعار الطائر للذل، ثم حذفه، ودلَّ عليه بشيء من لوازمه وهو كلمة (جناح).

وقد ذكر السيوطي (ت911هـ) في نظمه الجميل على كتاب تلخيص المفتاح للقزويني (739هـ) هذين النوعين قائلا: [6]

فِي جِنْسِ مُشْبَهٍ بِهِ وَقُسِّمَا ... إِلَى مُصَرَّحٍ وَمَكْنِيٍّ فَمَـــــا
يُنْوَى مُشَبَّهٌ فَقَطْ مُصَرَّحُهْ ... وَعَكْسُهَا الْمَكْنِيُّ قَوْلٌ رَجَّحَهْ

2. مِهادٌ تطبيقيٌّ: قراءة في ضابط التجسيم، والتشخيص والتوضيح.

إذا جاءت الجمل العربية على أسلوب واحد ضاقت المعاني؛ فلا يوجد في أصل وضعها أدلة على ما تضمنته من معانٍ بعيدة خفية غير مباشرة؛ لذلك امتطى علماء التفسير علم البيان لتوضيح ملمح الصور البيانية في قالبٍ تفسيريٍّ؛ فبعدما أن أصلوا أنَّ الاستعارة بنوعيها (المكنية/التصريحية) هي تشبيه بليغ حذف منه المشبه أو المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه؛ بمعنى أنه لم يبق من عناصر التشبيه إلا ركنا واحدا؛ ذكروا أن سرَّ جمال الاستعارة لا يخرج عن ثلاثة أشياء وهي:

أولا: التجسيم: ويطلق عليه كذلك التجسيد: وهو تشبيه الشيء الذي لا جُرم له بالشيء المادي المدرك بالحواس، نحو قولنا: رأيت الحق واضحا؛ حيث شبه الحق وهو أمر معنوي بشيء محسوس يُرى، وكقولنا: تحطم اليأس على صخرة الأمل، حيث شبه اليأس وهو أمر معنوي لا يدرك بالحواس بشيء محسوس يمكن كسره وتحطيمه.

فضابط التجسيم (التجسيد) أنَّه: تشبيه الشيء المعنوي (غير المحسوس) بالشيء المادي (المحسوس).

ثانيا: التشخيص: هو تشبيه شيء معنوي أو مادي بكائن حيٍّ (إنسان، حيوان)، له جوارح وحواس نحو قولنا: نطق الحق، بكت السماء، تفترس الرذيلة العفاف، حيث شبه الحق وهو أمر معنوي، وكذا السماء وهي أمر مادي بإنسان، وشبه كذلك الرذيلة وهي أمر معنوي بالحيوان المفترس.

فضابط التشخيص أنَّه: تشبيه ما لا يعقل (مادي أو معنوي) بكائن حي (إنسان، حيوان).

---

[6] عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي: ص90، ع695-696 وانظر: دروس البلاغة، حفني ناصف وآخرون، شرح ابن عثيمين، ص125،126.

ثالثا: التوضيح: هو ما عدا التشخيص والتجسيم، وتنحصر صوره في الحالات الست الآتية:

تشبيه المادي بالمادي نحو قولنا: وجه الفتاة كالقمر، وتشبيه المادي بالمعنوي نحو قولنا: العسل شفاء للناس، وتشبيه المعنوي بالمعنوي نحو قولنا: الصداقة بين الطلاب قوة.

تشبيه شخص بشخص نحو قولنا: من شابه أباه فما ظلم، وتشبيه شخص بالمادي نحو قولنا: الجندي صخرة أمام الأعداء، وتشبيه شخص بالمعنوي نحو قولنا: أنت روحي.

ويلاحظ: أنَّه إذا كان المشبه شخص فسرُّ الجمال هو التوضيح أيًّا كان المشبه به.

وقد التفت الجرجاني[7] إلى شيء من خصائص الاستعارة جاعلا **التوضيح** عنوان مناقبهما شارحا إياه بقوله: " أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"، ثم شرح التشخيص والتجسيد في المعنويات، وأنه بثٌّ للحركة والحياة والنطق في الجماد- بقوله: "فإنك لترى بها –الاستعارة- الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً، ... إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد **جُسِّمت** حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانية حتى تعود **رُوحانية** لا تنالها إلاّ الظنون ".

3. **سرّ جمال الاستعارة التصريحية في قالب تفسيري بياني**: وسنعرض ذلك في المباحث الآتية:

3. 1. المبحث الأول: الاستعارة التصريحية وسرُّ جمالها (التجسيم) في قالب تفسيري.

✓ **وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة:6.**

الإجراء البلاغي البياني: وتعد هذه الآية من أشهر الآيات التي صورت لنا استعارة تصريحية، حيث شبه الدين بالصراط المستقيم بجامع الوصول إلى برِّ الأمان في الدنيا والآخرة، ثم حذف المشبه، وهو الدين، وترك المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التي يُحذف منها أداة التشبيه ووجه الشبه والمشبه، وسرُّ جمال هذا التصوير الفني هو التجسيم؛ لأنَّ الدين أمر معنوي والصراط أمر محسوس.

المعنى التفسيري:

---

[7] أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ص43.

قال ابن عاشور:" والصراط في هذه الآية مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه.... والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخلطه شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بنيات، عن ابن عباس أن الصراط المستقيم دين الحق، ونقل عنه أنه ملة الإسلام". 190/1

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: 153**

الإجراء البلاغي البياني: الخيال في هذا التصوير الفني هو تشبيه غير الإسلام، وهو أمر معنوي بالسبل وهي أمر حسي، بجامع الهلاك الدنيوي والأخروي في كلٍّ منهما، ثم حذف المشبه، وهو غير الدين الإسلامي، وترك المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التي يُحذف منها أداة التشبيه والمشبه، وسرُّ جمال هذه الصورة الفنية هو التجسيم.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور: "والصراط: الطريق الجادة الواسعة، وقد مر في قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم [الفاتحة: 6] والمراد الإسلام كما دل عليه قوله في آخر السورة: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما) [الأنعام: 161] لأن المقصود منها تحصيل الصلاح في الدنيا والآخرة فشبهت بالطريق الموصل السائر فيه إلى غرضه ومقصده.

ولما شبه الإسلام بالصراط وجعل كالشيء المشاهد صار كالطريق الواضحة البينة فادعي أنه مستقيم، أي لا اعوجاج فيه لأن الطريق المستقيم أيسر سلوكا على السائر وأسرع وصولا به". 172/8

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران: 103**

الإجراء البلاغي البياني: يقال في إجراء هذا التصوير البياني؛ أنَّه شبه الدين وهو أمر معنوي بحبل وهو أمر حسي، بجامع النجاة في كل منهما، ثم حذف المشبه، وترك المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وسرُّ جمال هذا التصوير الفني هو التجسيم؛ لأنَّ المشبه أمر معنوي، والمشبه به أمر حسي.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هاته الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعاني، ويجوز أن يستعار الاعتصام للتوثيق بالدين وعهوده، وعدم الانفصال عنه، ويستعار الحبل للدين والعهود كقوله: إلا بحبل من الله وحبل من الناس [آل عمران: 112] ويكون كل من الاستعارتين ترشيحا للأخرى، لأن مبنى الترشيح على اعتبار تقوية التشبيه في نفس السامع، وذلك يحصل له بمجرد سماع لفظ ما هو من ملائمات المستعار،

بقطع النظر عن كون ذلك الملائم معتبرة فيه استعارة أخرى، إذلا يزيده ذلك الاعتبار إلا قوة. وليست الاستعارة بوضع اللفظ في معنى جديد حتى يتوهم متوهم أن تلك الدلالة الجديدة". 4/32،31

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ آل عمران: 112**

الإجراء البلاغي البياني: وشرح هذه الصورة الفنية أنَّه شبه العهد، وهو أمر معنوي بالحبل، وهو أمر حسي، بجامع النجاة في كلٍّ منهما، ثم حذف المشبه (العهد) على سبيل الاستعارة التصريحية، وسرُّ جمال هذه الصورة البيانية هو التجسيم لأنَّه شبه أمرا معنويا بأمر حسي.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" قوله إلا بحبل من الله وحبل من الناس الحبل مستعار للعهد، وتقدم ما يتعلق بذلك عند قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى في سورة البقرة [256] وعهد الله ذمته، وعهد الناس حلفهم، ونصرهم". 4/56

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 256**

الإجراء البلاغي البياني: وأصل التصوير البياني أنَّه شبه الدين أو الإسلام وهو أمر معنوي بالعروة الوثقى وهي أمر محسوس تكون في آخر الحبل؛ بجامع النجاة في كل منهما، ثم حذف المشبه (الدين) على سبيل الاستعارة التصريحية، وسرُّ جمال هذا التصوير البياني هو التجسيم لأنَّه شبه أمرا معنويا بأمر حسي.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" والعروة- بضم العين- ما يجعل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه، فللدلو عروة وللكوز عروة، وقد تكون العروة في حبل بأن يشد طرفه إلى بعضه ويعقد فيصير مثل الحلقة فيه، فلذلك قال في «الكشاف» : العروة الوثقى من الحبل الوثيق.

والوثقى المحكمة الشد. ولا انفصام لها أي لا انقطاع، والفصم القطع بتفريق الاتصال دون تجزئة بخلاف القصم بالقاف فهو قطع مع إبانة وتجزئة.

والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيلي، شبهت هيأة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وثقى من حبل وهو راكب على صعب أو في سفينة في هول البحر، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة، ولذلك قال في «الكشاف»

«وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، بالمشاهد» وقد أفصح عنه في تفسير سورة لقمان إذ قال «مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه» ، فالمعنى أن المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا وهو ناج من مهاوي السقوط في الآخرة كحال من تمسك بعروة حبل متين لا ينفصم " 29/3

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: 103**

الإجراء البلاغي البياني: حيث شبه الجاهلية وهي أمر معنوي بشفا الحفرة وهي أمر محسوس بجامع الهلاك في كلٍّ منهما، ثم حذف المشبه وترك المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وسرُّ جمال هذا التصوير البياني هو التسجيم لأنَّه شبه أمرا معنويًّا بأمر حسي.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" والذي يدعو إلى المصير للتمثيلية هو قوله تعالى: في بطونهم فإن الرشوة لا تؤكل في البطن فيتعين أن يكون المركب كله استعارة، ولو جعلت الاستعارة في خصوص لفظ النار لكان قوله: يأكلون في بطونهم مستعملا في المركب الحقيقي، وهو لا يصح، ولولا قوله: في بطونهم لأمكن أن يقال: إن يأكلون هنا مستعمل حقيقة عرفية في غصب الحق ونحو ذلك " 124/2

"فأرى أن شفا حفرة النار هنا تمثيل لحالهم في الجاهلية حين كانوا على وشك الهلاك والتفاني الذي عبر عنه زهير بقوله:

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم بحال قوم بلغ بهم المشي إلى شفا حفير من النار كالأخدود فليس بينهم وبين الهلاك السريع التام إلا خطوة قصيرة، واختيار الحالة المشبه بها هنا لأن النار أشد المهلكات إهلاكا، وأسرعها، وهذا هو المناسب في حمل الآية ليكون الامتنان بنعمتين محسوستين هما: نعمة الأخوة بعد العداوة، ونعمة السلامة بعد الخطر، كما قال أبو الطيب:

نجاة من البأساء بعد وقوع والإنقاذ من حالتين شنيعتين. وقال جمهور المفسرين: أراد نار جهنم. وعلى قولهم هذا يكون قوله: شفا حفرة مستعارا للاقتراب استعارة المحسوس للمعقول. والنار حقيقة، ويبعد هذا المحمل قوله تعالى: حفرة إذ ليست جهنم حفرة بل هي عالم عظيم للعذاب.

وورد في الحديث «فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان»

لكن ذلك رؤيا جاءت على وجه التمثيل وإلا فهي لا يحيط بها النظر. ويكون الامتنان على هذا امتنانا عليهم بالإيمان بعد الكفر وهم ليقينهم بدخول الكفرة النار علموا أنهم كانوا على شفاها". 35/4

3. 2. المبحث الثاني: الاستعارة التصريحية وسرُّ جمالها (التوضيح) في قالب تفسيري.

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ المائدة:15**

الإجراء البلاغي البياني: حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو إنسان عاقل بالنور وهو أمر محسوس، بجامع الهداية في كلٍّ منهما، ثم حذف المشبه (الرسول)، وترك المشبه به (النور) على سبيل الاستعارة التصريحية، وسرُّ جمال هذه الصورة البيانية هو التوضيح؛ إذ ليس هو من باب تشبيه أمر معنوي بأمر حسي فيكون تجسيما، ولا من باب تشبيه ما لا يعقل ماديًّا كان أم معنويًّا بشخص له جوارح وإحساس فيكون تشخيصا.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" بعد أن ذكر من أحوال فريقي أهل الكتاب وأنبائهم ما لا يعرفه غير علمائهم وما لا يستطيعون إنكاره أقبل عليهم بالخطاب بالموعظة إذ قد تهيأ من ظهور صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ما يسهل إقامة الحجة عليهم، ولذلك ابتدئ وصف الرسول بأنه يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب، ثم أعقبه بأنه يعفو عن كثير.

ومعنى يعفو يعرض ولا يظهر، وهو أصل مادة العفو. يقال: عفا الرسم، بمعنى لم يظهر، وعفاه: أزال ظهوره. ثم قالوا: عفا عن الذنب، بمعنى أعرض، ثم قالوا: عفا عن المذنب، بمعنى ستر عنه ذنبه، ويجوز أن يراد هنا معنى الصفح والمغفرة، أي ويصفح عن ذنوب كثيرة، أي يبين لكم دينكم ويعفو عن جهلكم " 150/6

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: 257**

الإجراء البلاغي البياني: حيث شبه الكفر بالظلمات، والإسلام بالنور، ثم حذف المشبه وهو الكفر والإسلام وترك المشبه به وهو الظلمات والنور على سبيل الاستعارة التصريحية، وسر جمال هذه التصوير البياني هو التوضيح لأنه شبه أمرا معنويا بأمر معنوي، فهو ليس من باب التجسيم ولا التشخيص.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" "

- ✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: 10**

الإجراء البلاغي البياني: الأصل في إجراء هذا الخيال؛ أنه شبه النفاق بالمرض، بجامع الهلاك، ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التي يحذف منها جميع أركان التشبيه إلا المشبه به، وسر جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح كونه شبه أمر معنويا بأمر معنوي، فهو ليس من باب التجسيم ولا من باب التشخيص.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" وأطلق القلوب هنا على محل التفكير كما تقدم عند قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم [البقرة: 7]، والمرض حقيقة في عارض للمزاج يخرجه عن الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجا غير تام وبمقدار الخروج يشتد الألم فإن تم الخروج فهو الموت، وهو مجاز في الأعراض النفسانية العارضة للأخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها، وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب " 279/1.

- ✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ الأحزاب:32**

الإجراء البلاغي البياني: الأصل في إجراء هذا الخيال أنه شبه الفجور بالمرض، بجامع الهلاك، ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التي يحذف منها جميع أركان التشبيه إلا المشبه به، وسر جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح كونه شبه أمر معنويا بأمر معنوي، فهو ليس من باب التجسيم ولا من باب التشخيص.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلا.

والمرض: حقيقته اختلال نظام المزاج البدني من ضعف القوة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الديني مثل المنافقين، ومن كان في أول الإيمان من الأعراب ممن لم ترسخ فيه أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلقوا بسوء الظن فيرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وقضية إفك المنافقين على عائشة رضي الله عنها شاهد لذلك. وتقدم في قوله تعالى: في قلوبهم مرض في سورة البقرة [10] ".9/22

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) ✷ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ الأنفال: 22**

الإجراء البلاغي البياني: الأصل في إجراء هذا الخيال أنه شبه الكفار بالصم البكم، بجامع الهلاك، ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التي يحذف منها جميع أركان التشبيه إلا المشبه به، وسر جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح كونه شبه شخصا بشخص، فهو ليس من باب التجسيم ولا من باب التشخيص.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" والمشبهون بالصم البكم هم الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، شبهوا بالصم في عدم الانتفاع بما سمعوا لأنه مما يكفي سماعه في قبوله والعمل به وشبهوا بالبكم في انقطاع الحجة والعجز عن رد ما جاءهم به القرآن فهم ما قبلوا ولا أظهروا عذرا عن عدم قبوله.

ولما وصفهم بانتهاء قبول المعقولات والعجز عن النطق بالحجة أتبعه بانتفاء العقل عنهم أي عقل النظر والتأمل بله عقل التقبل، وقد وصف بهذه الأوصاف في القرآن كل من المشركين والمنافقين في مواضع كثيرة.

ولعل ما روي عن ابن عباس من قوله إن الآية نزلت في نفر من بني عبد الدار كما تقدم آنفا إنما عنى بهم نزول قوله تعالى: إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لأنهم الذين قالوا مقالة تقرب مما جاء في الآية" 306/9

✓ **ومن ذلك قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة:245**

الإجراء البلاغي البياني: الأصل في إجراء هذا الخيال أنه شبه النفقة بالقرض، بجامع المنفعة في كل منهما، ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التي يحذف منها جميع أركان التشبيه إلا المشبه به، وسر جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح كونه شبه أمرا معنويا بأمر معنوي، فهو ليس من باب التجسيم،، ولا من باب التشخيص.

المعنى التفسيري:

قال ابن عاشور:" والقرض إسلاف المال ونحوه بنية إرجاع مثله، ويطلق مجازا على البذل لأجل الجزاء، فيشمل بهذا المعنى بذل النفس والجسم رجاء الثواب، ففعل (يقرض) مستعمل في حقيقته ومجازه " 481/2

الخاتمة: الاستعارة التصريحية صورة من صور التوسع في الكلام، وهي من أهم المكونات البلاغية التي ترجع إلى المعنى، وفائدتها العامة تتمثل في إبراز المعاني القرآنية إيجازا وبيانا؛ فيزيد التجسيم قدرها نبلا، ويوجب لها التشخيص فضلا، ويثبت لها التوضيح شأنا وشرفا، فالاستعارة التصريحية هي التي لوّنت المعاني الحقيقية في الآيات محل الشاهد، بدلا عن تلك الشواهد الشعرية التي أصبحت تكرر وتجتر في كل درس، وهي التي بثّت فيها كل هذا القدر من التأثير الذي ارتفع ببلاغتها إلى حدِّ الإعجاز، فقد بالغت الاستعارة التصريحية في إبراز المعاني الخيالية إلى الصور المشاهدة، ومما زاد في جمال الاستعارة التصريحية إخراج ما لا يُدرك إلى ما يُدرك بالحاسة؛ تعاليا بالمشبه المحذوف المنطوي؛ إذ صُيِّر بمنزلة ما يُدرك ويُشاهد ويُعاين.

ومن أهم النتائج والتوصيات:

- ✓ الميدان الخصب والبستان المثمر لإظهار المكون البلاغي في العمل التفسيري؛ هو إجراء التصوير الفنيُّ البيانيُّ (التشبيه، الاستعارة بنوعيها، الكناية، المجاز) على آيات القرآن الكريم.
- ✓ يوجد في كتب معاني القرآن عموما والتفسير خصوصا؛ مما يتعلق بملامح المكون البلاغي التفسيري، ما لا يوجد في كتب البلاغة ذاتها، والأمثلة على ذلك كثيرة.
- ✓ المكون البلاغي يفتح على الباحثين الإبداعَ في مجالاتِ اللغة العربية نحوا وصرفا بلاغة ودلالة.
- ✓ لإجراء الاستعارة وتحديد أركانها وأنواعها وبيان سرّ وملمح جمالها نبحث عن الخيال أولا، ثم نحدد المشبه فهو المقصود بالكلام دائما، سواء ذكر أم حذف، ويُساعدنا على ذلك السياق وفهم المعنى، وضابط التفريق بينه وبين المشبه به؛ أن الوصف الجامع بينهما يكون أظهر وأبين في المشبه به، فإن ذُكِر المشبه به كانت الاستعارة حينها تصريحية، وإلا فمكنية، ويجري ضابط سرِّ جمال الاستعارة بنوعيها مطردا؛ فإن شبهنا الشيء المعنوي بالشيء الحسي فهو تجسيم، وإن شبهنا ما لا يعقل أو ما لا يحس بشخص فهو تشخيص، وإن لم يكن هذا ولا ذاك كان ملمح جمالها توضيحا.
- ✓ رغم ما تقرر في بيان دلالات الصور البيانية وأثرها في التفسير؛ فإنَّه لا ينبغي أن يُتوسع في تحكيمها على المعنى الظاهر؛ فالمكونات البلاغية لا تعدو أن تكون هادية للمعنى المراد للشارع الحكيم، وليست قاضية عليه؛ فالمعنى أولا وأخيرا تابع للسياق وقرائن الأحوال.
- ✓ العمل على إنشاء فهرس ببليوغرافي مرتبط بمحرك بحث آلي على شكل جدول يشتمل على ثلاثة أعمدة؛ **الأول:** مواضع الصور البيانية وأقسامها وأنواعها في القرآن الكريم، **والثاني:** بيان أثرها ودلالاتها في التفسير باختصار، **والثالث:** الإشارة لمن نصَّ أو نبه أو شرح هذه الصور البيانية مؤلِّفًا ومؤلَّفًا.
- ✓ ضرورة توزيع مثل هذه المواضيع على طلبة الدراسات الأكاديمية بأطوارها الثلاثة (ليسانس، ماستر، دكتوراه)، واستثمارها في اكتساب الملكات التفسيرية البلاغية لدى الطلاب.

هذا والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا أشرف الأنبياء والمرسلين.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984هـ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس، الدار التونسية للنشر.

2. ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، 1422هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

3. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، 1414هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية.

4. أبو بكر بن دريد الأزدي، محمد بن الحسن،1987م، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.

5. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، 1420هـ، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة.

6. الأخضري، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الصغير، 1439هـ/2017م، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، ت: أبو عد الله خالد بن بكير خالد، بيروت، دار ابن محزم، الطبعة الأولى.

7. الجرجاني، أبو كر عبد القادر، أسرار البلاغة، ت: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.

8. حفني ناصف، حفني ناصف وآخرون، 1425هـ/2004م، دروس البلاغة (شرح ابن عثيمين)، اعتنى بها محمد بن فلاح المطيري، الكويت، مكتبة أهل الأثر، الطبعة الأولى.

9. الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دت، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

10. الزمخشري جار الله، محمود بن عمرو بن أحمد، 1407هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

11. السيوطي، جلال الدين، 1433هـ/2012م، عُقودُ الجمان في علم المعانِي والبيان، ت: عبد الحميد ضحا، القاهرة، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

12. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، 1426هـ/2005م، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.